

يقول المقرئ: ((وكان زرياب عالماً بالنجوم، وقسمة الاقاليم السبعة، وتصنيف بلادها وسكانها، مع ما سنج له من فك كتاب الموسيقى، ومع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الاغانى بألحانها؛ وهذا العدد من الالحن غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها، وقد جمع زرياب إلى خصاله هذه، الاشتراك في كثير من ضروب الطرب وفنون الادب ولطف المعاشرة، وحوى من آداب المجالسة، وطيب المحادثة، ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يجدّه أحد من أهل صناعته؛ حتى اتخذه ملوك الاندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه، واستحسنه من أطعمته، فصار إلى آخر أيام أهل الاندلس منسوباً إليه، معلوماً به، حتى طريقة ترجيل الشعر وقصه، والحفّ والتطبيب والملابس والشراب الخ. وهو أول من استبدل الزجاج بآنية الذهب والفضة؛ واخترع في العود وتراً خامساً، وجعل مضربه من قوادم النسر للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الاصابع، وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته اياه)) اهـ. (1)

* * *

فإذا انتقلنا إلى القرن الرابع، برز أمامنا، وفود أبي على القالى على عبدالرحمن الناصر ((الثالث)) وقد أصبحت الاندلس خلافة على يده، لضعف الخلافة العباسية وتسلبت الممالك على الخفاء، حتى لقد قتل مؤنس الخادم مولاه المقتدر بالله الخليفة العباسي. وفد القالى على عبد الرحمن الناصر، فعهد إلى ولده الحكم بأمر استقباله، فأمر هذا أحد عماله بأن يستقبله في موكب نبيل، ويمضى به إلى قرطبة ففعل، وهناك لقي من ضروب الكرامة، ومن سنن الصلوات، ما جعله يلقي عصا التسيار، ويستقر به النوى في ظلال قرطبة؛ وهناك يملئ كتابه، ويطرزه باسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر، صاحب الايادى البيضاء على العلم والعلماء،

(1) نفح الطيب ج 2 ص 109 ط أزهرية.